

International Institute for Strategic Studies [IISS]
The Military Balance, 1984-1985

الميزان العسكري، ١٩٨٤ - ١٩٨٥

(London: IISS, 1984), 159 p.

د. غسان سلامة

استاذ في قسم العلوم السياسية في الجامعة الاميركية - بيروت.

والارقام غشاشة لأنها لا تذكر مدى قدرة البلد السياسية والمالية على تطوير ترسانته، ولا على استبدال اسلحته بأخرى إن تقادم عهدها أو إن خسرت في القتال.

ولكن، وعلى رغم كل ما سبق، ما زالت قراءة الكتاب السنوي عن الميزان العسكري، مفيدة للغاية. وهذا لا يعني انه ليس هناك مصادر اخرى افضل او اكثر شمولية كالكتاب الذي يصدره مركز شيلواح الاسرائيلي او الكتاب السنوي لمركز استوكهولم او المصادر الاميركية التي لا تحصى. وهذا لا يعني ان كتاب معهد لندن يخلو من الاخطاء وهي عديدة كإدراجه ١٣٨٦ فنلندياً في جنوب لبنان في قوات الامم المتحدة وهم غير موجودين، او كإدراجه ٨٠٧ هولنديين وهم فعلاً سدس هذا الرقم او كقوله ان الصناعات الحربية الخليجية سوف تبني في دولة الامارات فحسب، او ارقامه غير الموثوقة عن الجيش والمليشيات اللبنانية وعلى ذلك قس.

نقص وشحّ في المعلومات، اخطاء، ارقام تقريبية. بعض هذه الهنّات يمكن معالجتها وبعضه الآخر صعب المعالجة لأن الدول ليست دائماً مستعدة لتقديم معلومات وافية وكافية،

الاحصاءات العسكرية غشاشة، والمقارنة بين الدول صعبة ومليئة بالمخاطر المنهجية. كيف لا يكون الامر كذلك حين نعرف مثلاً ان الفرقة المدرّعة تضم ٨٥٠٠ رجل و١٤٨ مدرعة في بريطانيا واكثر من ضعفي هذين الرقمين في الولايات المتحدة (١٨٣٠٠ رجل و٣٢٤ مدرعة). واللواء المدرع يضم ٤٥٠٠ رجل في الولايات المتحدة و١٢٠٠ رجل في الصين و٦٠٠٠ رجل في الهند. وعدد انطائرات في السرب الواحد قد يتراوح بين ٨ طائرات في بلد و٢٤ طائرة مقاتلة في بلد آخر. بكلام آخر ليس للكلمة الواحدة معنى واحد.

والارقام غشاشة لأنها ارقام. بمعنى آخر لأنها لا تأخذ بعين الاعتبار كل الباقي. وكل الباقي، في احيان كثيرة، هو الحاسم. وهذه بعض عناصر ذلك الباقي: نوعية الجغرافيا والارض، مستوى التدريب، تقدّم التكنولوجيا العسكرية، مستوى الفكر والتخطيط في رئاسة الارقان، الانضباط، روح المبادرة، الاستعداد للتضحية... هذا دون ذكر متانة الارادة السياسية بالقتال، ووضوح القرار، ناهيك عن الطقس.

وهو غلبة النوعية العسكرية الاسرائيلية (تكنولوجياً وغيره) على الكم العربي، المفتت، والمهني في امور شتى ومهام لا تحصى. اسرائيل تنفق الكثير على ماكينتها العسكرية وهي من اكثر الماكينات فعالية في العالم: حوالى ٧ مليارات سنة ١٩٨٢ اي بمعدل ١٧١١ دولاراً للاسراييلي الواحد. الفارق مع سوريا واضح: ٢,٥ مليار انفاق سنة ١٩٨٢ بمعدل ٢٥٦ دولاراً للسوري الواحد. اي ان اسرائيل تنفق ٣ مرات اكثر من سوريا اجمالاً و٧ مرات اكثر إن اخذ عدد السكان بعين الاعتبار. طبعاً هناك دول المواجهة الاخرى ونحن لا ننساها. ولكن المواجهة امر صعب التحديد، وعصي على التوقع الاكيد. الاردن ينفق نصف مليار دولار سنوياً تقريباً اي بمعدل ١٣٢ دولاراً للاردني الواحد. في المرحلة بين تموز/ يوليو ١٩٨٣ وحزيران/ يونيو ١٩٨٤ وهي الفترة التي يغطيها الكتاب، لم توقع اسرائيل - علناً على الاقل - اي عقد سلاح مهم. بالمقابل حصلت سوريا على ٢٠٠ دبابة سوفياتية الصنع من نوع ت/ ٧٢ وعدد غير مقدر من طائرات ميغ/ ٢١. غير انه في آذار/ مارس ١٩٨٤، وقعت اسرائيل على عدد من الاتفاقات السرية مع الولايات المتحدة لتنفيذ اتفاق التعاون الاستراتيجي مع الولايات المتحدة المعقود سنة ١٩٨٢.

اسرائيل قوية بخدمتها العسكرية الاجبارية (٣٩ شهراً)، وبتدريبها السنوي للاحتياط حتى سن ٥٤، وبمقدرتها على دفع احتياط هائل للمعركة (حوالى نصف مليون جندي) في مرحلة قصيرة، منهم ١٠٠ الف في اليوم الاول من القتال. اسرائيل ايضاً قوية بمدرباتها (حوالى ٣٦٠٠ ومنها السنثوريون، و١٥٠ ت/ ٦٢ غنمتها في حروبها مع العرب و٢٥٠ مركافا من صنع اسراييلي)، ومدفعية تمتاز بالتنوع الواسع وطبعاً بـ ٥٥٥ طائرة مقاتلة منها ٤٠ ف/ ١٥ المتطورة جداً.

وان قدمت هذه المعلومات فهي احياناً مغلوطة عن ارادة او عن اهمال. ناهيك عن صفقات السلاح السرية التي لا عدد لها واسبابها واضحة.

ولكن الكتاب يظل، على رغم ذلك، مفيداً مرة اخرى. ويمكن تعلم امور كثيرة منه. سوف نتجاهل الامور العظام في علاقات الجبارة واحلافهم النووية ونستخلص بعض العبر من منطقة الشرق الاوسط (البلدان العربية + ايران + اسرائيل).

١ - هذه المنطقة مستعدة اكثر من اي وقت مضى للانفاق العسكري العظيم: ٧٢ مليار دولار خلال سنة ١٩٨٢، حصة الاسد في هذا الانفاق تذهب الى منتجي النفط: ٤٠ بالمائة لبلدان مجلس التعاون الخليجي و٤٠ بالمائة للعراق وايران مجتمعين و٢٠ بالمائة لكل اقطار المنطقة الاخرى، بما فيها اسرائيل. بكلمة اخرى: الدول المشاطئة للخليج ما زالت حلم مصدر السلاح الاول: ٨٠ بالمائة من انفاق المنطقة ككل، اي حوالى ٥٨ مليار دولار. وكان تراتب الانفاق العسكري سنة ١٩٨٢ كالتالي: السعودية (٢٧ مليار) ايران (١٥ مليار) العراق (٨ مليارات)، اسرائيل (٧ مليارات). أما إن أدخل معيار عدد السكان لمقارنته بالانفاق، لوجدت الامارات العربية المتحدة نفسها بالطلية (٣٦٩٠ دولاراً لكل مواطن بالسنة)، تليها السعودية (٢٧٩٦) فعمان (١٨٠٤) فاسرائيل (١٧١١)... وتنتهي اللائحة مع الجزائر (٤٢)، وتونس (٣٦) والسودان (١٢). هناك مواقف مختلفة ممكنة من هذا الانفاق الخيالي هنا والمتواضع هناك. فمن قائل: انه للتحريير والدفاع عن الوطن وهو احياناً (قليلة) لذلك. ومن قائل انه للدفاع عن النظام لا عن البلد، عن العرش لا عن الارض، وهذا اصح احياناً اكثر، ولن نخرج (بفتح الراء وكسرهما معاً) بالتسمية.

٢ - اما عن الصراع العربي - الاسراييلي، فالكتاب السنوي يبقى قاصراً عن لمس الالم،

بقدر ما يأنف المغاربة من ذلك، على رغم وجود أكثر من تخوف وسبب للحرب هناك. ففي المغرب جيش نظامي يضم ١٤٤ الف جندي بينما يتجاوز عدد السكان ٢٣ مليوناً. طائراته المقاتلة لا تكاد تتعدى المئة، والبحرية متواضعة جداً على رغم طول شطآنه البحرية. الجزائر في وضع مماثل: ١٣٠ الف جندي نظامي لحوالى ٢٢ مليون مواطن، اقل من مليار دولار انفاق عسكري، بحرية متواضعة، قوى جوية لا بأس بها. لماذا لا تنهك هذه الدول البارزة نفسها في انفاق فظيع؛ لأنها على «قد بساطها تمد رجليها». لماذا ينفق الخليجيون اموالهم بهذه الطريقة؟ قد يتفهم المراقب الوضع العراقي الخاص، ولكن ماذا يعني ان تنفق هذه الامارة ام تلك المليارات الضخمة وثلاثة ارباع الضباط والجنود من غير (الوطنيين) ومن المشكوك بولائهم عندما تدق ساعة القتال؟

الارقام مفيدة لا لذاتها، بل لأنها تصحح التوهيم وتضع حدوداً للخيال. في النهاية ما معنى السلاح ان لم يحدد العدو. كانت فرنسا تتسلح لأنها تخاف من المانيا. والاتحاد السوفياتي سلاحه يصنع لمواجهة الامريكين. الصين تخاف من الاتحاد السوفياتي وفيتنام تخاف من الصين. الباكستان تفكر بالهند وزيمبابوي لا يمكن لها ان تنسى جنوب افريقيا. اليونان يخاف من تركيا والعكس صحيح. والعرب؟ والعرب؟ لماذا يتسلح العماني بهذه الصورة؟ والسعودي والمصري والعراقي؟ اعداء العرب كثر؛ طبعاً. ولكن عندما يهاجم العرب، يبقى السلاح في الثكنات والمستودعات في معظم البلدان العربية. لماذا يتسلح العرب؟ من هو عدوهم، متى سيحاربون وكيف؟ والى اي حد؟ لأن الاجوبة عن هذه الاسئلة غامضة او على الاقل متعددة جداً، فإن وزن العرب في العالم خفيف او هو، على الاقل، اخف مما يعتقدون، وأخف مما يريدون واخف مما يستأهلون □

القوى الارضية السورية حسنة التسليح. ارقام القوى الجوية كبيرة وفي هذا السلاح ٥٠ ميغ - ٢٥ و٧٠ ميغ - ٢٣. ولكن الانفاق والتدريب والمقدرة على التعبئة مسائل اخرى.

٣ - الحرب العراقية - الايرانية: المشتريات الايرانية (العلنية) متواضعة. العراق، على العكس، اشترى الكثير من مصر، والبرازيل، وايطاليا، والاتحاد السوفياتي وفرنسا. الانفاق الايراني (على الورق) اكبر بكثير من العراقي (١٧ ملياراً مقابل ١٠ مليارات) لسنة ١٩٨٣ / ١٩٨٤. يتفوق العراق بعدد الجنود النظاميين (٦٤٢ الفاً مقابل ٥٥٥ الفاً) ولكن ايران لديها حوالى ٣ ملايين معبأين في القوى غير النظامية من سيج وحرس ثوري. الترسانة العراقية تتطور بسرعة باتجاه تفوق عراقي نسبي (على الورق مرة اخرى): ٤٥٠٠ دبابة سوفياتية ومئات قيد التسليم، ٥٨٠ طائرة مقاتلة مقابل اقل من مئة في الجانب الايراني، وهنا احد اهم بل اهم نقاط الضعف الايراني. وبين الطائرات العراقية ميغ - ٢٥، وميراج وطبعاً ٥ سوبر - اتندار. المدفعية العراقية تضم ٣٥٠٠ قطعة مقابل عدد اكثر تواضعاً (وليس اكثر وضوحاً) في الجانب الايراني. مرة اخيرة، على الورق، لا يبدو ان باستطاعة ايران الانتصار ان اخذ ميزان القوى العسكري الراهن بعين الاعتبار. ولكن اموراً اخرى (جغرافية وسياسية وايدولوجية) تجعل الانتصار العراقي اكثر صعوبة. هذه اذن، حرب، يجب ان تنتهي. والاضرار التي حصلت حتى اليوم كافية واكثر. فهذه حرب قتل حتى الآن فيها على الأرجح ما يعادل ٣٠ مرة مما قتل في حرب ١٩٧٣ بين العرب واسرائيل.

٤ - ويلاحظ المراقب بقدر من السرور استمرار بلدان المغرب العربي بعدم اتبّاع نهج المشاركة في الانفاق العسكري. فبقدر ما يلقي الخليجيون باموالهم في جيوب مصدرى السلاح